ما هي الثقافة الأميركية؟

بقلم ديفيد كيبي

الكاتبة السويدية الراحلة كارل ستيغ لارسن محاطة بالمعجبين خلال جولة لها في السويد. وكانت الرواية الأولى لها، بعنوان "البنت ذات وشم التنين"، وباتت تحتل قراءات الأميركيين.

"... بصراحة، لم تعد الثقافة الأميركية تنتمي إلى أميركا، والحقيقة هي أنها لم تكن تنتمي إليها في أي يوم من الأيام".

الدعابة السهلة قد تتمثل في طلب يقول "قم بتلخيص الثقافة الأميركية في 500 كلمة. ولكن أليست تلك الكلمات كثيرة؟"

الحقيقة الصعبة هي أن الثقافة الأميركية لم تعد موجودة الآن. والفضل في ذلك يعود للإنترنت — الوسيط نفسه الذي أصبح الآن يُمكّنكم من القراءة، خلال وجودكم في قارة أخرى، مقال أكتبه أنا في أميركا الشمالية ردًا على سؤال يكون على الأرجح قد طُرح في قارة أخرى مختلفة تمامًا. والواقع هو أن كل بيوت الحراسة التي تحافظ على ثقافتنا القومية باتت تفتقر إلى الموظفين إلى حد خطير. انظروا إلى الأشكال الفنية الثلاثة التي يعتقد معظم مواطني بلادي أنها، بطريقة ما، تمثل جوهر الأصالة الأميركية: المسرحيات الغنائية الموسيقية، والجاز، والروايات البوليسية.

منذ وقت ليس ببعيد، ربما كانت أكثر مسرحيات برودواي رواجًا مسرحية "فيلا" الموسيقية الغنائية، التي حازت على أحد عشر ترشيحًا لجائزة توني وفازت بثلاث منها. دار موضوع المسرحية حول الموسيقيّ النيجيري الراحل، فيلا كوتي

الذي برع في عزف عدة آلات موسيقية. كان تأثير فيلا على موسيقى الجاز يتعاظم ويساعد على إظهار كيفية انهيار ما كانت تعتبر سابقًا ثقافات "قومية"، بالتوازي مع ما يشبه التزاوج أو التهجين بين نوعيات وفصائل كانت منفصلة تمامًا في السابق. فحراس الحدود التي كانت قائمة بين الجاز والموسيقى الشعبية، والمسرحيات الغنائية سابقًا، أو حماة حمى "الثقافة" الأميركية، على ما يبدو تخلّوا عن مواقعهم على تلك الحدود منذ وقت طويل وغادروها إلى موقع آخر، أينما كان ذلك الموقع.

ويبدو هذا الذوبان للثقافة الأميركية أكثر وضوحًا في الروايات البوليسية الخيالية. ولعل الرواية التي كان الناس يتوقعون صدورها بشغف مؤخرًا، سواء أكانت من الروايات البوليسية أو غيرها، هي رواية الكاتب السويدي الراحل كارل ستيغ لارسن بعنوان "البنت التي ركلت عش الدبابير"، وهي الرواية الثالثة في سلسلة هذه الروايات البوليسية السويدية. والفيلم السويدي بعنوان "البنت التي لعبت بالنار" الذي أنتج على أساس رواية لارسن الثانية حول فتاة مشاكسة انعزالية، ليزبث سلاندر، فإنه قد احتل شاشات دور السينما في مختلف أنحاء البلاد. وكانت الرواية الأولى في سلسلة روايات لارسن، وهي بعنوان "البنت ذات وشم التنين"، قد جاءت عقب الروايات الرائدة لزميله السويدي هنينغ مانكل، وباتت تحتل قراءات الأميركيين. وتبدو سلاندر بطلة حقيقية من زماننا الراهن، فقد ولدت عبر شبكة الإنترنت، وأصبحت في نهاية المطاف شخصية عالمية بقدر ما هي شخصية سويدية.

قبل أن تتشابك أيدينا لنبدأ في غناء "إنه عالم صغير" (مستعيرين أغنية من أكثر الشركات الأميركية عولمة — والتي قد أجد فاتورة منها تطالبني بحقوق هذه الأغنية في صندوق بريدي)، من المنصف الإشارة إلى أن أحد استوديوهات الأفلام السينمائية الأميركية اشترى للمخرج والمنتج البريطاني ريدلي سكوت حقوق إعادة إنتاج كل كتب (قصص) لارسن الصادرة بالإنجليزية. فمن الواضح أن الترجمة المضافة على شريط الفيلم لا زالت تشكل عقبة أكبر من أي نقطة تفتيش على الحدود، وأن الأرباح التي ستجنى من سلسلة الروايات المتعددة — كما قد تخبركم— جاي كاي رولينغ (مؤلفة سلسلة "هاري بوتر")، ستكون سحرية.

لكن بصراحة، فإن الثقافة الأميركية لم تعد تنتمي إلى أميركا، وهي في الحقيقة لم تكن تنتمي إليها في أي يوم من الأيام. فالمسرحيات الموسيقية مدينة في أصلها طبعًا للأوبرا التي تعود — على الأقل— إلى مونتيفيردي الإيطالي، ولالي الفرنسي. وموسيقى الجاز برزت من نيو أورلينز عن طريق منطقة البحر الكاريبي ومن أفريقيا قبل ذلك. أما طريق القصص الخيالية البوليسية فيمتد متعرجًا وطويلا بشكل جوهري من خلال روايات شيرلوك هولمز البريطانية، والمفتش الفرنسي الغريب الأطوار دوبان في روايات إدغار ألان بو وإلى المفتش باكيت في روايات تشارلز ديكنز، بدءًا من رواية "بليك هاوس" ورجوعًا بالتاريخ إلى مسرحية "أوديبوس ركس" التي ألفّها الكاتب الإغريقي "سوفوكليس" — قبل أن يضيع أثر الطريق.

وتتفرع جذور الثقافة الأميركية في دروب أكثر تعرجًا والتفافًا من الطرق الأربع السريعة التي تتشكل منها منطقة بول هايتس، ذلك الحي في لوس أنجلوس حيث يرقد في مدافنه أسلافي الذين كانوا يتكلمون لغة اليديش، وحيث اللغة الإسبانية شائعة بقدر شيوع اللغة الإنجليزية، وحيث أكتب أنا الآن هذه المقالة.

ديفيد كيبين ناقد أدبي ومؤلف وصاحب متجر ليبروس شيمبروس للكتب المستعملة ومكتبة لتأجير الكتب في بويل هايتس، بولاية كاليفورنيا، وبصفته مدير مبادرة القراء القومية في الصندوق القومي للفنون والآداب من العام 2005 حتى العام 2009 ترأس مشروع تلك الوكالة "بيغ ريد." (القراءة الكثيرة)

Got a question about the U.S.?

Ask us using your phone.